السفير العربي

جريدة لبنان في الوطن العربي وجريدة الوطن العربي في لبنان

الخميس 16 حزيران 2016 – الموافق 11 رمضان 1437 هـ ـ العدد 13392

AS-SAFIR Arabic political daily - Thursday June 16, 2016 N° 13392

1

النكتة أداة فريدة لفهم واقع الحرب السورية. وفي المغرب: وفرة المياه والتوزيع الجيد للسدود يساهمان في الإنتاج والتصدير وتأمين فرص العمل. وفي «فكرة»: الإجهار بالإفطار في رمضان ممنوع في مصر!

2

السيسي يسعى للطاقة النووية بقرض روسي.. فهل تكون الـ25 مليار دولار التي تضاف للدين العام المصري مغامرة غير محسوبة العواقب؟ وفي «بيتونة»: كيف تكون الإنسانية قاتلة؟

3

تسريب الامتحانات يهدد شهادة البكالوريا المصرية. وفي «بألف كلمة»: تضميد جراح الأطفال اللاجئين. ومدوّنات من العراق ومصر وموريتانيا. وعلى الموقع: عن واحات المغرب، وعن بنية «الإخوان» في مصر، وعن نساء ليبيا في الحرب.

4

الناصرية.. عاصمة العراق الأسفل

تُفصح لنا قصة مدينة الناصرية عن فرادة تلامس بقوة أهم القضايا الكبرى المطموسة في السردية الحديثة للتاريخ العراقي أو العربي، وخاصة ما يتعلق بقضية الحداثة والنهضة. فأسباب إقامة هذه المدينة على يد الوالي العثماني «الإصلاحي» مدحت باشا عام 1870 ـ بعد لقائه بشيخ مشايخ «المنتفگ» (المتّفق باللهجة أي الاتفاق) ناصر السعدون قبل ذلك بعام لإبلاغه نية السلطنة تحويل «المنتفگ» إلى متصرفيةً منخرطة في الولاية، ونصيحته له بترك حياة البداوة والترحال ـ جاء في سياق اضطرار العثمانيين لتغيير شكل سيطرتهم على العراق. فهم أعادوا احتلاله عام 1831، وأزالوا حكم المماليك خشية عواقب الصراع المحتدم بين مركز الولاية المملوكي والمنتفگ، وهو صراع صار يوحي باحتمالات الاستقلال العراقي، سواء من أعلى على يد المماليك، أو من قبل إمارة المنتفگ التي تشكل قيادة وطنية قبَلية في جنوب العراق.

المنتفگيون في بغداد

سبق للمنتفگين أن أعلنوا رغبتهم في قيام حكم عربي عراقي عام 1789، إبان الثورة الثلاثية التي نشبت خلال حكم سليمان باشا الكبير، وقادها ثلاثة من المشايخ الكبار هم سليمان الشاوي وحمد آل حمود وثويني العبد الله شيخ مشايخ المنتفگ. وقد اجتمع لثويني قائد الثورة وقتها ما يزيد على 100 ألف مقاتل، احتلوا البصرة ورفعوا مضبطة الى الباب العالي العثماني جاء فيها: «لا يصلح لكرسي الولاية إلا ثويني العبد الله، فهو الأسد الذي يؤمّن الطرق ويحميها من العجم». ويذكر بعض المؤرخين أن جد ثويني أبدى هو الآخر رغبته في حكم العراق بعد تحرير البصرة على يد المنتفگ من الاحتلال الإيراني قبل هذا التاريخ بسنوات. ولم يتوقف الأمر عند هذا، فقد دخلت «المنتفگ» الى بغداد، ونصّبت بحرابها سعيد ابن سليمان الكبير والياً على العراق بعد لجوئه إليه، ما حدا بداود باشا، الذي لجأ إبان حكم سعيد إلى شمال العراق عند آل بابان، لأن يبعث برسالة إلى الباب العالي يقول فيها نصاً: «إن سعيداً حكم العرب أهل الغشامة والجهل». وحين جاء داود باشا للحكم بعدما قتل سعيداً ابن خالته، اتجه بفعل التحدي العربي الجنوبي لإقامة جيش هائل يفوق تعداده 100 ألف، كما أقام الصناعات العسكرية، ما جعل الباحث المصري سليمان عبد العزيز نوّار يعتبره في أطروحته «محمد علي» العراق دون الالتفات إلى العوامل والخلفيات المتباينة المحيطة بالحالتين.

خصوصية العراق غير المدرَكة

مثل هذه التشبيهات معتادة، وهي تنحو إلى فرض النموذج المصري في التحديثية العربية، الموكولة إلى فعل العامل الخارجي الأوروبي والانتباه الفكري له، وهو ما لا ينطبق على حالة العراق، الذي ظهرت فيه تحديثية ذاتية سابقة على الحضور الغربي ومستقلة عنه. وفي جنوب العراق، ومنذ القرن السابع عشر، عادت الآليات الحضارية التاريخية تعمل هنا، متجاوزة حالة الفوضى والاحتراب والأوبئة والفيضانات التي عمّت البلاد منذ سقوط بغداد عاصمة الإمبراطورية العربية الإسلامية على يد هولاكو عام 1258، لتتكرر مرة أخرى ظاهرة «الانقطاع الحضاري» الناجمة في تاريخ العراق عن حاجته لشبكة من النواظم والسدود عالية الإحكام، يفرضها واقع إنتاجي يصفه العالم المهم في التاريخ الحضاري القديم، طه باقر، كـ«مواجهة مستديمة مع نهرين من أشد أنهار الدنيا تطرفاً من حيث وقت فيضانهما المخالف للدورة الزراعية، مع قوتهما المدمرة»، ما أفرز عَدة ظواهر منها تلازم العملية الإنتاجية مع تلك المجتمعية والسياسية، وانعكاس ذلك في منطقة «أرض السواد» على شكل المجتمع الإنتاجي الجنوبي الممتد من بغداد إلى البصرة، وجعله مجتمعاً مشاعياً مساواتياً محارِباً لا ينتج دولة من داخله. وهو دفع لأن تقوم الدول هنا كـ «دول ــ مدن»، أي متخندقة داخل أسوار محصنة تحصيناً شديداً ومعسكَرة بشدة، تمارس حَلْب الريع الزراعي بالقوة والغزو، وتظل معزولة داخل مدنها، تحكمها نزعة إمبراطورية متجهة للشمال رغبة في التخفف من أسباب التصادم مع المجتمع الأسفل المحارِب، المقاوِم لأي شكل من أشكال السيطرة البرانيةَ، كما الداخلية أصلا. وفي حالات اختلال العلاقة بين المجتمع المنتِج والدولة المركَبة فوقه، واختناق الدول القاهرة بفعل انسداد الأفق الإمبراطوري في الغالب، فإن أساس البناء الحضاري يصاب بالانهيار المهول بسبب ضعف الرقابة اللازمة على ضفاف النهرين بقوة وباستمرار، درءاً للفيضان العاتي وغدر الماء وسطوة النهرين المدمرة التي لا فكاك منها على النواظم والسدود، ما يدخل البلاد وضعا من الانهيار العام والفوضى والأوبئة والاحتراب. وقد هبط عدد نفوس العراق من 31 مليون نسمة أيام العباسيين حسب تقديرات متواترة، إلى ما يقارب المليون في القرن السابع عشر.. حين أخذ طغيان مفاعيل «الانقطاع» يتراجع، وظهر «اتحاد قبائل المنتفگ» علامة على بدء الدورة الحضارية الثالثة، بعد الدورة الأولى السومرية البابلية، والدورة الثانية التي حفّزها الفتح الإسلامي.

قلب «أرض السواد»

ومن بين أجزاء «أرض السواد» (الأراضي الزراعية التي تقع جنوب بلاد النهرين، على أطراف دجلة والفرات وما بينهما)، تتركز الآليات الحضارية تحديداً في الموضع الذي نشأت فيه مدينة الناصرية، التي لا يمكن النظر إليها بذاتها بل بصفتها «دولة ـ مدينة»، قامت لهذا الغرض، وفي سياق احتواء مشايخها وإدراجهم في سلك الحكومة. وهي السياسة التي ظلت متّبعة على يد التحديثية البرانية العثمانية والإنكليزية كوسيلة لاختراق المجتمع الأسفل. وليس صدفة أن يكون الوالي مدحت باشا هو من أدخل الكهرباء والتراموي والبريد والبرق، وقام بتكليف المهندس البلجيكي جوليوس تلي (Tilly Julius) بتخطيط أول مدينة عراقية على الطراز الغربي الأوروبي، بشوارع عريضة متقاطعة ما تزال تميّزها إلى اليوم، مانحة إياها نكهة مختلفة عن كل مدن العراق الأسفل المنهارة المشوهة. ولم ينس الوالي أن يسبغ اسم الشيخ «ناصر» أول متصرف عراقي على المدينة التي حلت مكان «الدولة ـ المدينة» القبَلية السابقة عليها، «سوق الشيوخ». لكن اسم ناصر السعدون ظلّ رمزياً بمقابل اسم «المنتفگ» المأخوذ من واقعة عودة التشكل الوطني العراقي الحديث بين ثلاث قبائل كبرى هي «الأجود» و «حميد» و «بنو مالك» منذ أصبح «اتفاقها» اسماً لبداية تشكل المجتمع العراقي الجديد. ظلت الناصرية تسمى «المنتفگ»، كذلك فإن القرار في المدينة ومجمل شؤونها وحياتها لم يكن ينبع من داخلها. فقد ظلت مدينة ـ دولة قبلية بثوب حديث لم يمنحها القدرة على اصطناع دور خاص بها ولذاتها يزيد على دور العاصمة القبلية السابقة عليها، «سوق الشيوخ»، التي تحولت إلى قضاء إلى جانب أقضية الشطرة والرفاعي والقلعة. ويثير هذا الوضع عفوياً في الأذهان تواريخ أخرى تعود الى الحضارة السومرية وقبلها «العبيدية»، وصولاً لأول مدينة في التاريخ «أريدو»، عدا «أور» مدينة النبي إبراهيم الخليل، صاحب

ضياء عزاوي – العراق

أول وأكمل وأبقى رؤية كونية توحيدية في التاريخ، و«لكش» وثورة كوراجينا 2355 ق.م، يوم عرفت في وثيقة مكتوبة، ولأول مرة في التاريخ الإنساني، كلمة «حرية» («أمارجي»)، احتوت على كل ما هو معروف اليوم من مبادئ حقوق الإنسان، أو «أوروك» مدينة الأقواس التي ابتدعت القوس في الهندسة والبناء ليبقى الـ«أرك/ القوس» يتردد إلى اليوم في معظم لغات العالم. كما قامت هنا الإمبراطورية الأكدية، أول إمبراطورية في التاريخ، ومؤسسها الإمبراطور «سرجون الأكدي»، أول من قال «أنا حاكم زوايا الدنيا الأربع». وهنا ظهرت الكتابة الخ...، وكل هذا يجري تعداده ليولّد نزعة خاصة، أو وطنية فرعية، هي بالأحرى رئيسية لدى أهل هذا المكان، بقدر ما يذكر غيرهم بأن هذه البقعة مميزة جداً على صعيد الفعالية الحضارية وسجل المنجزات الكبرى.

«قانون تسوية الأرض»

أقامت المنتفگ في العصر الحديث وطنيتين بارزتين. الأولى أيام العثمانيين، قبَلية، تمثلت بالصراع المستمر مع المماليك لإقامة حكم عربي، تدل عليها عشرات العصيانات والانتفاضات والحروب مع المركز، وثانية وطنية، بعد الاحتلال الإنكليزي وقيام الدولة «الحديثة» عام 1921. فالاحتلال الانكليزي لجأ لإقامة «حكم من أهل البلاد»، وهي صيغة أولى مُبكرة من صيغ «الاستعمار الجديد» الذي سيعرفه العالم في الستينيات، أسماه الإنكليز وقتها «الحكم من وراء ستار»، بعدما كانوا يتبنون النظرية الاستعمارية الهندية المتجبِّرة وجاؤوا ليطبقوها في العراق، لكن ثورة العشرين أجبرتهم على التخلي عنها. والسلاح الأمضى الذي استعمله الاحتلال الإنكليزي لتطويع المجتمع الأسفل هو «قانون تسوية الأرض» لعام 1932 الذي قلب العلاقات الإنتاجية المساواتية التاريخية، بتسجيله الأراضي ـ وكانت مشاعاً ـ بأسماء المشايخ، وبالتالي تحويله هؤلاء الى ملاّك نهابين للأرض، منفصلين عن أبناء جلدتهم، جاعلاً منهم قاعدة اجتماعية للدولة البرانية المركبة من أعلى، تخترق بنية المجتمع الأسفل. وهذه الوسيلة لم يكن العثمانيون قادرين على اللجوء إليها إلا في نطاق ضيق جدا، ما دفعهم وقتها لما أقدموا عليه في المنتفگ، بإقامتهم «الناصرية». بمقابل المشروع الإنكليزي، عادت المنتفگ أو «سومر الحديثة» لتضطلع بمهمة إنشاء وطنية ثانية، عجزت بغداد وبقية مدن العراق الكبيرة عن إقامتها رغم تأثرها بالنهضة الفكرية العربية، بينما أقام «فهد»، يوسف سلمان، وهو مسيحي في مجتمع غالبيته الساحقة مسلمة، مع صديقه غالي زويد الزنجي المتبقي من أيام ثورة الزنج في الزمن العباسي، حزباً شيوعياً صعد من أسفل إلى أعلى، ليمثّل وطنية مضادة اقتضاها تغير الأحوال بعد الاحتلال. هذا غير تأسيس حزب البعث في المكان نفسه على يد فؤاد الركابي. أي أن الحزبين الإيديولوجيين الأكثر تأثيراً في تاريخ العراق الحديث، نشآ في الناصرية / المنتفگ. والحزبان المذكوران، وخاصة الشيوعي، أسهما بقوة في إسقاط النظام الملكي الذي أقيم على أسس الاحتواء العام نفسها بالإجهاز على خاصيات المجتمع الأسفل، ما أثار سخطا هائلاً، كان السبب في سرعة تنامي الوطنية الحزبية الإيديولوجية وانتشارها الكاسح على مستوى العراق ككل، وصولاً لثورة 14 تموز/ يوليو 1958.

اليوم

الناصرية حالياً رابع مدينة عراقية من حيث عدد السكان بعد بغداد والبصرة والموصل. بلغ عدد سكانها عام 2013 مليوناً و139 ألف نسمة، وكان تعداد سكانها عام 1920 يصل إلى 6523 نسمة فقط، وهي تقع على الفرات الأسفل، على حافة الأهوار. أصبح لها اليوم حزام عشوائي بأسماء غريبة تعكس انهيار الحداثة، وهي ما تزال «المنتفگ» في خيال أبناء المنطقة، مع ان اسمها الرسمي الحالي تحول إلى «ذي قار». ومع حيوية نخبتها وإصرارها على التذكير بخصوصية دورها بإطلاقها عام 1991 «الانتفاضة الشعبانية» (إثر هزيمة الجيش العراقي في الكويت)، كأنما ثأراً من نظام أفلح في قتل خاصياتها بالريع النفطي، وتحويل المجتمع إلى الوظيفة. المسؤولون في هذه المدينة قد يكونون الأقل فسادا على مستوى العراق، وهي التي أطلقت في الصيف الماضي شعار «باسم الدين باكُونا الحرامية». وما تزال شوارعها مستقيمة وواسعة ونظيفة.. لكن السؤال الحائر الذي يخيم عليها بإلحاح، كما على العراق، هو: ترى هل ماتت التحديثية الذاتية مع موت التحديث المستعار، وماذا تبقى للمستقبل؟ يبقى أن الحديث عن «مدينة ـ دولة» هي منطلق العراق الحالي في دورته الأخيرة، لن يكتمل من دون تناول ما يلاحظه الجميع عادة من تميز المدينة بالشعر والأدب، وعناية أبنائها بالثقافة والفنون، وإسهاماتهم المميزة في الغناء.. ففي هذا الجانب ثمة حداثة موازية، لها سمات مختلفة، تقابل الحداثة الأخرى البغدادية المستعارة. وهنا يكمن عالم آخر يستحق عناية وبحثاً مستفيضَين...

عبد الأمير الركابي

كاتب من العراق

الحبوبي النجفي ابن الناصرية!

لا يخفى عن أعين العابر في مدينة الناصرية العراقية، تمثال الشاعر النجفي الشهير «الحبوبي». يتوسط بهيبة شارعاً يكنّى باسمه. فالمدينة التي تشبه ديواناً محتشداً بالقصائد، يُعرَف عنها أنها متعصبة لشعرائها، كما أنّ شعراءها متعصبون لناصريتهم. أما «الحبوبي» فهو حكاية أخرى، خطفته الناصرية من نجفه، كأنها تريد أن تقول إنه ابنها الذي لم تلده.

والناصرية، كما العراق بأغلبه، تشتهر باحتفائها وفخرها واحترامها للشعر والشاعر. الشعر انعكاس لمزاج العراقي في المرآة، هو الذي ينْظم إيقاع جلساته حين يحتد ويغضب، ثم يتحسّر على الماضي فيبكي ويلطم، ثم يفيض حباً وأملاً بالمستقبل. وكما العراقي لا تكتمل عراقيته إلا بقرض الشعر، هكذا هو الناصري، لا تلتئم في مدينته الأماسي وحلقات النقاش والسمر وحتى الاحتفالات بلا شعر وغزل وقفز بين القوافي والبحور.

وللشخصية الناصرية خاصية تميزها، هي هويتها الثقافية التي تشكلت عبر تاريخ طويل من الحضارات التي بنت البشر قبل الحجر. فالناصرية كانت شاهدة على بناء «أريدو» أولى مدن التاريخ، التي نشأت فيها الحضارة السومرية، فعرفت الحضرية والمدنية وكتبت الملاحم والقصص والشعر والقوانين.

وفي التاريخ الحديث، شهدت الناصرية تحالف «المنتفگ» الذي دافع عن هوية جنوب العراق المتنوعة والغنية ضد غزوات العثمانيين والفرس وممالك عربستان وآل الرشيد في نجد. كما عرفت ناحية «سوق الشيوخ» مهرجاناً شعرياً دائماً، هو النَسخة العراقية عن سوق عكاظ، حيث كان وما زال يتنافس الشعراء في نظم الشعر الشعبي العراقي بألوانه المختلفة. والناصرية فوق هذا كله ثائرة، كانت منطلقا لثورة العشرين ضد المستعمر الإنكليزي والانتفاضة الشعبانية على النظام البعثي في أهوارها في 1991.

ولهذا فالناصرية قاموس محيط لمعاني الشخصية العراقية، المثقفة، الحضرية، المنفتحة، الفخورة بهويتها الوطنية، والثائرة الغيورة التي ترفض الذلّ والهوان. وهي تختصر كل هذه الصفات في القصيدة. لذا لن تجد أحداً من أبنائها لا يقرض الشعر أو يقترضه أحياناً، رحْمها مصنع شعراء، وكأن الشعر يومئ لناظميه صوب الناصرية: اذهبوا إلى هناك، أو حتى كونوا من هناك لأعترف بكم.

العلاّمة السيد محمد سعيد الحبوبي، شاعر نجفي، ولد وعاش في النجف، ولم يذهب إلى الناصرية بل هي التي أتت إليه. لم تستطع أن تتعامى عن موهبته وشخصيته الاستثنائية، فأخذته إليها.

كسر الحبوبي بيت القصيدة الناصرية، فكان استثناءها. فاخرت به كأحد أعلامها، منذ جاء إليها في العام 1914 لتحشيد العشائر، بعد صدور فتوى الجهاد في النَجف ضد القوات الإنكليزية التي عسكرت في الفاو في جنوب البصرة، فقاتل والعشائر وقتها إلى جانب القوات العثمانية.

لم يكن الحبوبي شاعراً وثائراً فقط، وهذا ما أغرى الناصرية في خطفه إليها. كان فقيهاً غير تقليدي، من أسرة دينية نجفية معروفة، وزميلا للمفكّر الإسلامي المتنور السيد جمال الدين الأفغاني. كان خلطة زكية وذكيّة من مجموعة مكونات هي غير متجانسة في العادة، لكنّ روحه التوّاقة الواسعة، وسَعَتْ لها كلها، وقولبتها في شخصية فريدة جاذبة. فإضافة إلى شهرته كفقيه وعلامة، لم يتوانَ عن مخالطة العوام والإصغاء إلى شكواهم وهمومهم. لكن رجالات الحوزة التقليديين لم يتقبلوا جموحه وتحرره المحرج، لذلك ترتاح الحوزة حين يعرّف عنه بالشعر لا بالفقه. أمّا هو، فكان مربط خيله الشعر ومن الشعر ذهب إلى الثورة. الشعر علمه الثورة، الثورة على التقليد أولاً ثمّ الثّورة على المستعمر لاحقا.

والفقيه النجفي نظم قصائد كثيرة في الغزل والخمريات والحب، وصار صديقا لكل شعراء عصره. ولأنّ شعره كان رشيقا سلسا رقيقا، استهوى ملحنين كثرا، فتحولت قصائده إلى أغانٍ أدّاها أشهر مغنّي تلك الحقبة، منها «يا غزال الكرخ»:

يا غزال الكرخ واوجدي عليك	كاد سري فيك أن يُنتَهكا
هذه الصهباء والكأسُ لديك	وغرامي في هواك إحتَنكا
فاسقني كأساً وخُذْ كأساً إليك	فلذيذُ العيش أن نشتركا

بعدما ضاقت به الحوزة الدّينية، وبعدما نفد صبرها منه، قرر هجرها وقررت هجره. وبينما فضلت هي الاستغراق في تفصيل أحكام الطّهارة والنجاسة، حلّق هو ومشايخ العشائر العراقية في فضاء تطهير البلاد من رجس المحتل، ملبياً دعوة الجهاد لتحرير العراق، قائدا المتطوعين من النجف والحلّة والكوفة والرميثة والناصرية والشعيبة.

ليس غريبا ألاّ يحتفى بالحبوبي في نجفه أو يُذْكر، ربّما كان صفحة من تاريخها لا فائدة من قراءتها، أمّا الناصرية، فحساباتها مختلفة تماما، ولا علاقة لها بالفقه ورضا المرجعية أو غضبها، ولا بالثورة وهزيمتها. حساباتها تتعلق بالقصيدة. كل بيت نظمه الحبوبي هو بالنسبة للناصرية وما تمثله، عمارة من الشغف والرقة والحساسية التي يحتاجها العراق اليوم ليتغلب على القسوة المحيطة به..

سيرة حياة السيد الحبوبي نموذجاً للمثقف العضوي (حسب غرامشي!)، الذي عاش حياته شاعراً وعاشقاً وثائراً وجزءا لا يتجزأ من هموم الشعب وأحلامه، وأخرج الشخصية النجفية النخبوية من انغلاقها إلى المشهد الشعبي، المطلبي والوطني.

عاصم ترحيني

كاتب من لبنان يقيم في البصرة/العراق

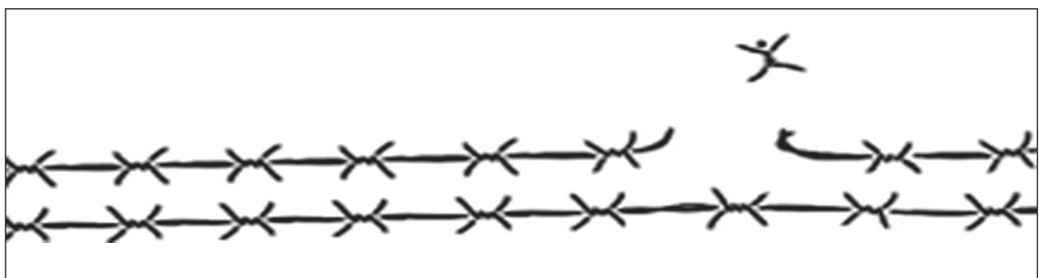

بلا نهاية!

عملية تل أبيب منذ أسبوع تجاوزت موجة الطعن بالسكاكين والمقصّات والمفارك التي قام بها شبّان وشابات حيثما أمكنهم، كـ«موقف» فردي من الاحتلال، لم ينظمه أحد ولم يحرّض عليه أحد. العمليّة الأخيرة استُخدمت فيها رشاشات بدائية خفيفة يسهل تصنيعها حرَفياً (الـ «كارلو»)، واعترف الإسرائيليون في أعقابها بأنها منتشرة بالآلاف في أراضي 1948 وخارجها، وأنّ ورشات تصنيعها لا تُعد ولا تحصى. وهذه أيضا عملية فردية لم تخطط لها جهات ولا حرّض عليها أحد.

ماذا يعني ذلك؟

يعلم مرتكبو حمل السكاكين (وليس الطعن أو الرش بالرصاص) أنهم سيُقتلون، وأن بيوت أهاليهم ستُهدم (وهل من أثمن وأعز من الدار؟) وأنهم سيفقدون أعمالهم وتصاريح تنقّلهم.. ولن يضيف إلى العقوبات الجماعية الرهيبة تلك حجز جثامين الشهداء عن أهلهم كما يُمارَس وتقرر أن يُمْعَن به. ولا قصف غزة لأن أهلها عبّروا عن فرحهم بالعملية في الشارع. فهل يعني ذلك أن الفلسطينيين وصلوا إلى مرحلة اليأس العدمي كما يقال؟ وأنّهم لا يجيدون رسم التكتيكات السياسية المجدية والتي تعطي نتيجة؟... ولكن أي نتيجة؟

رئيس بلدية تل أبيب، وهو ضابط طيران سابق، قال إثر العملية إنّ «الاحتلال قد يكون أحد عوامل الإرهاب الفلسطيني». وقال حرفياً «نحن ربما البلد الوحيد في العالم الذي يُبقي على أمة أخرى تحت الاحتلال بلا حقوق مدنية (...) لا وسيلة للإبقاء على شعب تحت الاحتلال وتوقع وصوله إلى استنتاج بأن كل شيء على ما يرام وأنّه سيستمر في العيش هكذا»، وهو يذكّر بتصريح قديم للمجرم باراك من أنه «لو كان فلسطينيا في العمر المناسب لانضم إلى مجموعة إرهابية». بعد ذلك يمكن إدخال الحدث في نفق السياسة، واعتباره تحديا لليبرمان في أول أيامه على رأس وزارة الحرب، إذ كان يتمرجل لفظيا حين كان خارج السلطة.. وقد يهرب إلى الأمام في مزيد من العقاب والقمع والعنتريات.. تماما ما أشار إلى عقمه رون هولداي ذاك في بقية تصريحه (الذي يبدو أنه «صدم» الإسرائيليين) حين قال إنه من السهل ارتكاب «شجاعات» لن تحل الأزمة.

ولكن هل من حلّ أصلاً؟ هنا يتضح المأزق الإسرائيلي أيضا، الذي سرعان ما يُطمر تحت مزيد من القتل والتدمير والوعيد. بينما «لا يخسر الفلسطينيون إلاّ قيودهم».. كما قيل عن سواهم!

نهلة الشهال

العربي السفير

متابعات

83 ألف فلسطيني علّقت إسرائيل تصاريح دخولهم بعد عملية تل أبيب يوم الأربعاء الفائت، بينما جُمّدت تصاريح عمل 204 فلسطينياً بدعوى انتمائهم لعائلات منفذَي العمليّة، وفُرض حصار على بلدة يطا جنوب الخليل مسقط رأس الشابين.

سوريا: كيف تجد النكتة مكانها داخل الحرب؟

مجد الحموي – سوريا

تصوّب النكتة بعضاً من مَيَلان الواقع عن لحظة توازنه، كأنها تتكفّل بإعادة تشكيله على نحوٍ أكثر خفّة كلما ازداد عسْفه، فهي بذلكً تتعدّى كونها مجرّد بنية لغوية سرديّة مكثفّة، لتصير أداة لفهم تجلّيات الواقع داخل منظومة الوعي الفردي والمجتمعي.

واللافت أن تعتذر النكتة مراراً عن حضور مأدبة الحرب المقامة على أرض سوريا منذ سنوات، وهذا نقبله كتقشّف لبق يتجنّب زجَّ واقع حالك داخل مفْردات تستحثّ فعل الضّحكَ، ونقبل معه أن مهمة النكتة في تفكيك صورة الحدث خلال العام 2011 و2012 كانت متاحةً أكثر مما أصبحت عليه في الأعوام الأربعة اللاحقة. وقتذاك كان بمقدور النكتة أن تقترح نصيباً من السخريّة على مسار الأحداث لغرض تقبّله، قبل أن يتشابك خيط الحياة مع خيط الموت والتهجير والخيبة، وتتلعثم خطاه وتتداخل في زوغان معقّد الوجهة كما الخيط في كرة الصوف، فيصير معه تجاوز الواقع فعلًا نهائياً، يصعُب استصلاحه أو هضمه على مراحل، مثلما يصعب استدراج النكتة منه.

التفرعات السياسية للنكتة

تضمن البنية السردية للنكتة الإطلال على الحياة من ضفة آمنة، تتيح اختزال جانب منها أو أكثَر في كثافة لغويّة انتقائيّة تجعلها تصمد في حيّز التداول لفترة ما، وأحياناً تصير مستنداً محفوظاً في الذاكرة يمكن الاستدلال به كلما اقتضت الحاجة. النكتة أيضاً تمتلك فرضية مضمرة تحاول البرهنة عليها متى أُلقيت على من يسمعها، فهي تقترح إذاً مقاسات جديدة لإدراك حجم الحدث في مسار وَعيه الاجتماعي. ولأن الحراك الشعبي الذي نشأ في سوريا عام 2011 كان حالةً ملتبسة لم يجتمع حولها كلّ السوريين، فإن النكتة غدت في فضائها الخاص تصوغ موقفاً سياسياً من الحراك نفسه بكل التباساته الممكنة. فرّقت بين الأفواه التي تناقلتها، كما فرّقت السياسة بين معارضٍ للنظام، وموالٍ له.

المعارضون للنظام رصدوا بسخريّة آلة الحرب تطلّ على حياتهم اليوميّة، صاروا يتندّرون بالاستدلال على عناوين بيوتهم بنَسْب مكانها إلى موقع دبابة مثلًا (بيت فلان يقع بعد الدبابة الثانيةً على جهة اليمين)، أو يسخرون من جهل المرابطين على الحواجز التابعة للنظام (أوقف «شبّيحة» على حاجز أمني رجلًا متوجّهاً إلى مدينة حماه، وسألوه ماذا يحمل معه، فأجابهم: كمبيوتر محمول و»فلاش» ذاكرة، استفسروا منه إن كان يحمل «فيسبوك» بين أغراضه، فردّ بالنفي، فارتاحوا، وسمحوا له بأن يكمل طريقه).

الموالون بدورهم عاينوا في نكاتهم أساس الحراك على أنه مؤامرة خارجية هدفها النيل من النظام الحاكم (أمسكت الشرطة «مندّساً» وساقته إلى المحكمة، وهناك عنّفه القاضي بامتعاض: ألا تخجل من نفسك؟ هذه المرة الثانية التي تأتي فيها إلى هنا، ردَّ «المندس» بسرعة: حبذا لو توجه هذا الكلام لنفسك، فأنت كلّ يوم هنا!). فرضية المؤامرة تستلقي بارتياح فوق نكات أخرى يرويها الموالون كتلك التي تتحدثّ عن المجموعة الثالثة التي زجّت منتخب سوريا لكرة القدم خلال تصفيات كأس العالم الماضية إلى جانب منتخبات قويّة مثل اليابان وأوزبكستان وكوريا الشمالية (من قبيل سأقطع يدي إن لم تكن هذه القرعة مسحوبة في قطر).

ليس صعباً إذاً تتبّع المفردات التي تقدّم انطباعاً معرفياً نسبياً عن الواقع، وكيف تعود وتظهر داخل البنيّة السرديّة للنكتة. المعارضون مثلًا يسمّون الموالين بالشبيّحة، والموالون يسمّون المعارضين بالمندسين، وأحياناً قليلة تتجوّل النكتة بلا هوية سياسية واضحة، تختار موضوعاً لا يحتمل المناكفة، فيستحسنها الجميع، ويتناقلونها بلا تحفّظ (كيف تخرج عن دينك في خمسة أيّام، كتاب من تأليف عماد خميس وزير الكهرباء السوري) أو (فتوى شرعيّة موجّهة للمجاهدين: لا يجوز ضرب عمود الكهرباء لأنه مذكّر، بينما يصحّ ضرب محطة توليد الكهرباء لأنها مؤنث).

كما يسهل الاستدلال على منبت النكتة من الألسن التي تتناقلها. وقد يتجانس القالب الذي يعجن مقولةً نكتتين، فيما يختلف مضمون سردهما بحسب الموقف الإيديولوجي لصانعها (يسأل شاب صديقه عن مصير الذي يموت في إحدى المظاهرات، وما إن كانت روحه تطلع إلى الجنّة، أو إلى النار، فيردُّ صديقه: يا أحمق، تطلع على قناة الجزيرة). بالمقابل نجد: (يسأل طفل والده عن مصير الكاذب، وهل يذهب إلى النار فعلًا؟ فيجيبه والده: في هذه الأيام يا بني يذهب إلى «قناة الدنيا»).

مناطق تظهر على خارطة النكتة

اقترحت السمات المناطقية نفسها مجدداً على مدلولات النكتة. حضرت مباشرة في عناوين أغلبها، كما كانت تفعل قبل الحرب. إذ رصدت النكتة المنسوبة إلى أهل حمص حال السنوات الأولى للحراك بخفّة متقنة، لم تراوغ في استنباط معطيات مُثاليّة، بل أمسكت بخوارزميات الواقع وفككت معظمها، مُبدّلةً بين الأدوار تارةً (حمصيّ قتل مجموعة من الشبّيحة، وعندما اعتقله الأمن، وسأله عن اسمه الثلاثي، قال لهم: أنا لا أحب الشهرة، سجّلوا اسمي فاعل خير)، أو مُصرّةً على توثيق حالة بعينها (أوقف حاجزٌ أمني حمصيّاً بعد انتهاء مظاهرة، فسأله الضابط المسؤول إن كان قد هتف بشيء، فنفى الحمصيّ التهمة، ثم طلب منه الضابط أن يسمعه أغنيةً يحفظها، فردد الحمصيّ: «يا درعا حنّا معاك للموت»)، ونكتة أخرى تقول: (قرّر سكّان حمص أن يتضامنوا مع أنفسهم خلال المظاهرات، فنظّموا واحدةً هتفوا فيها: «ياحمص.. حمص معاك للموت»).

حتى أنّ مناطق لم تكن مَعروفة في سوريا، خصّتها النكتة خلال سنوات الحرب بعناية واسعة، مثل قرية «كفرنبل» التابعة لريف إدلب، حين تخصصت بإطلاق لافتات ساخرة ملأت تدريجياً مواقع التواصُل الاجتماعي المعارضة، وتلك صنّعت نقداً كوميدياً مبسّطاً لفجاجة الموت والعزلة والقهر. وهذا نمطٌ من النكات تقرؤه العين أولًا، ثم يُحفظ، ثم يصير نكتةً تطرحها أفواهُ الناس بعضهم على بعض، أكثرها شهرة (سوريا خلصت، والأزمة بخير) و(نطالب بزيادة عدد الدبابات في كفرنبل للتخفيف عن حمص المنكوبة) و(بابا وماما استشهدا، وباسم ورباب في المعتقلات).

ثم ظهرت النكتة المستندة إلى سرد بصريٍّ متواضع. تلك المحاولات المحليّةً غير المبرمجة للسخرية من اختلال موازين القوى العسكرية بين المعارضة والنظام. عشرات من مقاطع الفيديو جرى تحميلها عامي 2012 و2013 من أرياف حمص، هناك حيث عاين الناس عن كثب معارك مضنية وطويلة. وأظهر المحتوى البصري لتلك التسجيلات السكانَ المحليين وقد حوّلوا على سبيل المثال مدفأةً منزلية إلى مجسم ساخرٍ يقارب شكل المدفع، وآخرونَ صنّعوا مجسمات بدائية تحاكي سلاح «المنجنيقات» المنقّرض.

النكتة رواية فريدة للواقع

يختلط علينا فهم كيان النكتة أحياناً، فهي تحمل مقاربات المقولة الفكريّة والقصة القصيرة في إطارها الشعبي الفكاهي. لكننا غالباً ما نصنّفها على أنها حكاية شفاهيّة يرتبط تناقلها بمقدرتها على الاحتفاظ بوجبة دسمة من السخرية، تظلّ تدور بينَ الألسن والآذان لسنوات، وبعضها يظلّ محفوظاً لعقود. وهي في سوريا رافقت نظام البعث الحاكم، كسرد موازٍ لفضاء البلاد الموصد بوجه الحريّاتَ وتداول السلطة. كانت واسعة الانتشار قبل الحرب، وقبل مشاعيّة التعرض لوسائل التواصل والإعلام الحديث، ولعلّها بقيت جزءاً من مقتنيات مجالس الحديث، بالرغم من كل العنف البوليسي للدولة الأمنية، لكنها استمرّت تُبتكر وتُصنّع وتُوزّع كأرغفة الخبز (لاحظ أحد المذيعين في التلفزيون السوري خلال نقلٍ مباشر لمسيرة تأييد ضخمة طفلًا يتّقدّ حماسةً فاقترب منهً المذيع وسأله عن سبب حماسه واندفاعه في الهتافات، فردّ الطفل: لأني وطني، فاستحسن المذيع إجابته وسأله: ما اسم والدك؟ فرد الطفل: أبي هو حزب البعث. اتّسعت ابتسامة المذيع، وسأله أيضاً: ممتاز، وما هو اسم أمك؟ فرد الطفل باندفاع: أمي هي طلائع البعث. ربّت المذيع على كتف الطفل، وسأله أخيراً: عظيم، وما هي أمنيتكَ في الحياة، هنا ردَّ الطفل ببراءة: أتمنى أن أغدو يتيماً).

تقدم لنا «ليزا وادين» أستاذة علم الاجتماع السياسي في جامعة شيكاغو في كتابها الذي يحمل عنوان «السيطرة الغامضة: السياسة، الخطاب، والرموز في سوريا المعاصرة» مقاربة اجتماعية لوظائف النكتة باعتبارها مخزونا ثقافيا مجتمعيا عميقا، وقد نظرت إلى تاريخ النكتة الاجتماعي في سوريا على أنّه تاريخٌ اجتماعي تأسس وفق هرميّة اجتماعية وسياسية وحالة فساد التهمت كلّ أجهزة الدولة.

أيمن الشوفي
صحافي من سوريا

فكـــرة

«ممنوع الإجهار، ممنوع!»

«مصر اتجنّنت»، جاء في أحد التعليقات على فيديو لنائب رئيس حي العجوزة، في القاهرة، وهو «يداهم» المقاهي لـ «ضبط» شبان يجتمعون فيها نهاراً في أيام شهر رمضان، فيدخل مع رجاله ويبدأ فوراً بالإشارة لهم بجمع الكراسي والطاولات والإيعاز للزبائن بالخروج. «ممنوع الإجهار، ممنوع!» يقول فرج لنادل في أحد المقاهي، ويقرر «اتخاذ الإجـراءات اللازمة» وتحرير محاضر بحقهم.

«كده مصر انتهت للأبد»، يقول معلّق ثانٍ على الفيديو، ليضيف ثالث «داعش في مصر؟».

الرجل يفتح الواجهات المغلقة ليكتشف «عصابة» المفطرين.. تذكر الأخبار أن الحملة الموسّعة صادرت 177 كرسياً و50 طاولة و25 شيشة.. إنجاز! البلطجة صار لها طابع مقدس فجأة! وكلّه تحت راية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ما حصل في حي العجوزة يجد تبريراً وأساساً له في دار الإفتاء المصرية، فـ «المجاهرة بالفطر في نهار رمضان لا يدخل ضمن الحرية الشخصية للإنسان، بل هي نوع من الفوضى والاعتداء على قدسيّة الإسلام، لأن المجاهرة بالفطر في نهار رمضان مجاهرة بالمعصية، وهي حرام فضلًا عن أنها خروج على الذوق العام في بلاد المسلمين، وانتهاك صريح لحرمة المجتمع وحقه في احترام مقدساته». هذا ما جاء على الصفحة الرسمية لدار الإفتاء المصرية على فايسبوك، مستفزاً أكثر من ألفَي تعليق بين مستنكر ومؤيّد. هكذا تسمح دار الإفتاء بتحريم وتجريم الإفطار جهاراً وتمنع مجموعة من الناس من ممارسة حرية بسيطة واختيار طريقة ممارسة العبادات (أو عدمها)، وبعد أن تحشر نفسها في مساحة حريتهم الخاصة جداً وتتّهمهم هم بالعدوان.

إنه زمن «الإيمان بالعافية».

المستنكرون يسألون، ماذا عن المجاهرة بأفعال كاعتقال الأبرياء وسرقة المال العام؟ ماذا عن القمع؟ ماذا عن التطبيع مع إسرائيل؟ ماذا عن بيع الأرض؟ حلال أم حرام يا مولانا؟

حتّى الإسلاميون، ومنهم رئيس اتّحاد طلاّب جامعة الأزهر (الإخواني) علّق بالقول «شيوخ عسكر صحيح..».

في الصين «فتوى» حكومية في المقلب الآخر، حيث تمنع الحكومة موظفي الشأن العام والطلاب والأساتذة من الصيام في رمضان حتى في المناطق ذات الغالبية المسلمة بمنطقة زينجيانغ (حسب ما جاء في جريدة «الاندبندنت» البريطانية). حالة معاكسة للحالة المصرية، لكن مشابهة جداً في نوع القمع الذي تمارسه على الناس بمنعهم من أمر بديهي: اختيار ممارسة شعائر دينية أو الامتناع عنها، علناً أو خفاء.

لكن المقلق في مصر هو واقع أنّ جميع أنواع السلطات انحرفت عَن أداء أدوارها الطبيعية وأُغرقت البلاد في حالة مخيفة من الضغط الرقابي. السلطات السياسية والأمنية تتلهّى بالقبض على الأولاد والفرق الموسيقية (أطفال الشوارع مثلًا) وملاحقة الباحثين المصريين (اسماعيل اسكندراني مثلًا) والأجانب (فضيحة مقتل جيوليو ريجيني)، فيما السلطات الدينية تقرر باستعلاء حظراً على الحرية الشخصية، وتحرّض ـ مع علمها أو بدونه ـ على المواطنين الذين قررت أنهم يرتكبون المعصية تحت عينها.

صباح جلّول

أنهار المغرب تنبع من قلبه

تنبع أنهار المغرب من قلبه لا من معدة الجيران. لا يواجه المغرب خطراً مثل سد النهضة الإثيوبي على النيل، وسدود تركيا على دجلة والفرات، مما يضر بالعراق وسوريا. وهذا القلب هو جبال الأطلس التي تقسم لثلاث سلاسل يبلغ علو قممها أربعة آلاف متر، تكسوها الثلوج ويضمن ذوبانها على مدار السنة عدم جفاف الأنهار العشرة الرئيسية. وهي جبال محاطة بمنخفضات تقصدها الأنهار التي تعبر السهول الشاطئية وصولا للبحر الأبيض المتوسط أو المحيط الأطلسي.

ومن هذه الأنهار «سبو» ويمتد 458 كلم ويبلغ متوسط صبيبه 167 متراً مكعباً في الثانية. ينبع من جبل الأطلس المتوسط ويعبر سهل سايس وهضبة زمور وسهل الغرب ويصب بالمحيط الأطلسي قرب مدينة القنيطرة شمال الرباط. وعلى النهر سدود كثيرة كسدي «علال الفاسي» و «الوحدة» وهو أكبر سد في المغرب، كلّف حوالي مليار دولار ويمكنه تخزين أربعة مليارات متر مكعب من الماء. وقد أعلنت وزيرة الماء في بداية 2016 عن مشروع بناء سدّين جديدين على النهر.

النهر الثاني حسب الأهمية هو «أم الربيع»، يمتد على 600 كلم ومتوسط صبيبه 137 متراً مكعّباً في الثّانية. ينبع من الأطلس المتوسط، ويخترق سهول الشاوية ودكالة، وأقيم عليه أحد عشر سداً، ويصبّ في المحيط الأطلسي جنوب الدّار البيضاء.

النهر الثالث هو «ملوية» وطوله 600 كيلومتر ينبع من الأطلس المتوسط والكبير، يجري شمال شرق المغرب، وأقيمت عليه عدة سدود مثل سدّ «محمد الخامس» وسد «مشرع حمادي».. ويصب بالبحر الأبيض المتوسط.

النهر الرابع، «تانسيفت، يجري على مسافة 450 كلم وهو ينبع من شرق الأطلس الكبير ويعبر السهول المجاورة لمراكش ويصب بالمحيط شمال الصويرة.

النهر الخامس هو «أبو رقراق» وطوله 240 كلم وينبع من الأطلس المتوسط ويصب في المحيط الأطلسي قرب الرباط .

النهر السادس «واد سوس» ويمتد 190 كلم يمر عبر سهول أولاد تايمة ويصب في المحيط الأطلسي، وقد بنيت مدينة أغادير في مصبّه. وعلى النهر سدود كثيرة منها سدًا «يوسف ابن تاشفين».

سابعاً، نهر «درعة» ويمتد على طول 1200 كلم وهو يعبر مناطق جافة كثيرة ويسقي واحات كثيرة تصل مساحاتها إلى 26000 هكتار..

يستقبل المغرب 154 مليار متر مكعب من الأمطار سنوياً، خزنت منها السدود تسعة مليارات متر مكعب في آذار/مارس 2016. وهذه الكمّية جزء من ثمانية عشر مليار متر مكعب تقدر وزارة الماء بأنّها حجم المياه السطحية بالمغرب. والمياه المخزنة موزعة على أكثر من 140 سداً بين كبير وصغير ومتوسط. وهذه السدود موزّعة جيدا وليست متجمّعة في مكان واحد، ويمكّن انتشارها من التزود بالماء من أقرب نقطة لكل مدينة.

كانت هذه المعلومات ثمرة جلسات طويلة مع مدرّسي جغرافيا في الثانوي. لنر الآن أثر هذا وكيف بدأ:

تقول التلفزة المغربية أنّ الحسن الثاني تبنّى سياسة السدود لتطوير المغرب الذي لم ينخرط في سياسة تصنيع لا يملك مؤهلاتها ولا سوقها. وكان خصوم الملك الراحل يزعمون أنه تخصص في زراعة الطماطم. والآن تنافس الطماطم المغربية بشدة في سوق الاتحاد الأوروبي.

رغم السدود فالأنهار تأخذ إلى البحر مليارات الأمتار المكعبة، ومع ذلك فالبحر لا يمتلئ. السد مفيد للسقي ولتوليد الكهرباء، يطعم ويضيء. تبنى السدود في مواقع جبلية وبذلك تخرج مناطق كثيرة من العزلة. السد مفيد في الأعوام الممطرة والأعوام الجافة. في الفيضانات يقلّل الخسائر (فهو يحمي البنى التحتية والسكان حتى لو تسبب انجراف التربة في أسفل السد بتقليل تخزينه للماء)، وفي الجفاف يسقي الزرع والضرع ومفيد حتى لغايات أخرى. فآخر سد دشنه الملك محمد السادس في 2014 اسمه «أبو العباس السبتي» وهو ولي صالح كان مقربا من البلاط الموحّدي بمراكش في العام 1200.

للتاريخ أرسلت فرنسا الرحالة شارل دوفوكو ليرسم خريطة مائيّة للمغرب سنة 1883. وقد كان يسجل ملاحظاته عن خصوبة التربة ويحصي العيون ويقف على الأنهار يقيس عرضها وعمقها. وأثمر ذلك كتاب «التعرّف على المغرب». وبفضل هذا البحث الاستعماري، احتلت فرنسا المغرب وهي تعرف أين ستستثمر. وقد بدأت سياسة السدود في منتصف القرن الماضي لزيادة المساحات المروية. كمثال، في 1949 انتقلت المساحات المروية من 2800 هكتار إلى 17800 هكتار في منطقة تادلة وسط المغرب. وهناك بني سد بين الوديان وهو السد الذي نشأت حوله السوسيولوجيا المغربية التي حللت تحول الرحل والفلاحين إلى بروليتاريا. قبل السد كانت قنوات الري الترابية تتسبب في تسرب المياه، مما حول الحقول إلى مستنقعات. وقد تم استبدالها بقنوات إسمنتية.

حسب وزير سابق للماء، فموارد المغرب المائية تتجدد سنويا بما قدره 29 مليار متر مكعب من الماء وأنّ 85 في المئة منها تخصص للسقي و12 في المئة للشرب. تصل تغطية مياه الشرب إلى 98 في المئة بالمدن وسبعين في المئة بالبوادي. من ضمن 8 ملايين و800 ألف هكتار صالحة للسقي، لا يسقي المغرب إلا مليون ونصف، وفي ثلث المساحة المروية يُستخدم نظام الري الموضعي بهدف اقتصاد الماء.

يسقي المغرب نسبة خمسة عشر بالمئة فقط من سهوله، لكن المساحة المروية تساهم بـ45 في المئة من الإنتاج وتساهم بثلاثة أرباع التصدير حسب أرقام وزارة الفلاحة. فكل السكّر المغربي ينتج في حقول مسقية، والفلاحة المروية توفر 120 مليون يوم عمل.. وقد ارتفع الناتج الداخلي الخام في القطاع الفلاحي بمعدل 44 في المئة بين سنتي 2008 و2014.

أنثروبولوجياً، كيف ينعكس الماء على المغاربة وأفكارهم؟

أوصى ابن خلدون ببناء المدن قرب الأنهار من أجل ماء حلو. في المغرب توجد المقابر في مواقع استراتيجية بجانب كل مصب. تقع مراكش على نهر وهي محاطة بسهول شاسعة. تقع مدينة الرباط على مصب نهر «أبي رقراق». تقع الدار البيضاء في مصب نهر «بوسكورة». تصب الأنهار في أفضل شواطئ المغرب. والسبب في ذلك أن المدن بنيت في المجرى المائي كما هو حال أغادير. بل إن أرقى أحياء الدار البيضاء، كالمعاريف وعين الدياب، بُنيت في المجرى الذي جف مرحلياً. كثير من المناطق توجد كلمة «فم» في اسمها، مثل «فم الواد».

تقول جدتي: الماء أخطر من النار. ويقول المختصون بأنّ ذاكرة النّهر قوية وهو يعرف مجراه. وفي فترات الوفرة المائية تقع فيضانات وتمر من الطريق نفسها التي ألفتها ولو مرت 100 سنة على آخر فيضان. يتبع التيار المنخفضات ليصل بسرعة. من يسير ضد التيار ينكسر. ذاكرة الجغرافيا قوية وذاكرة الإنسان ضعيفة، لذلك يبنى في مجرى النهر.. وعياً من السلطات في المغرب لهذا الخطر النائم حول الدار البيضاء، شُرع في بناء قناة تحت – أرْضية لصرف مياه الفيضان.

تؤثّر وفرة الماء على الغذاء. تباع أفضل الخضر الطازجة في ضواحي المدن. توجد علاقة بين الفلاحة والطّبخ، والنتيجة هي شهرة الطّبخ المغربي. لم يعد الافتخار بالطّبخ المغربي مخجلا لليساريين خاصة، وقد كانوا يعتبرون هذا الافتخار سلوكا فولكلوريا. هذا الماء هو الذي جعل المغاربة شعبا بريا يأكل من الحرث ولا يأكل من البحر الذي تمتد شواطئه على 3500 كلم. كلّما زاد الطلب على الأكل ستزيد المساحات المروية. تصوّروا لو سقى المغرب نصف سهوله، بربع الماء الذي تأخذه الأنهار للبحر!

محمد بنعزيز
كاتب وسينمائي من المغرب

قضية

54 في المئة نسبة تراجع السياحة في مصر بين نيسان/ابريل العام الحالي ونيسان/ابريل 2015، حسب تقرير «الجهاز المركزي المصري للتعبئة العامة والإحصاء»، حيث بلغ عدد السياح 425 ألف سائح مقابل 923 ألفاً العام الماضي. ولحظ الإحصاء انحساراً ملفتاً في أعداد السياح من روسيا وإيطاليا بعد أزمة سقوط الطائرة الروسية ومقتل جوليو ريجيني.

السيسي يسعى للنووي بقرض روسي ينهِك المستقبل

عمرو هاني – مصر «انفجار نووي في القاهرة»

يحب الرئيس ومؤيدوه القول بأنه جاء ليكمل ما بدأه جمال عبد الناصر. وبعيداً عن الاختلافات الجوهرية بين الشخصيتين، يعتقد مؤيدوه أن الرابط المشترك بين الاثنين، هو شغف السيسي بالقول أنه راعي المشروعات القومية العملاقة، مستحضراً في ذهنه صورة الزعيم التي خلقها عبد الناصر بقرارات جريئة كتأميم قناة السويس أو بناء السد العالي.

بهذه الروح بدأ السيسي عامه الثاني في الحكم بافتتاح التفريعة الثانية لقناة السويس، ولم يراجع نفسه بعد رصد التقارير الدورية لتراجع إيرادات القناة رغم التكلفة الباهظة لإنهاء المشروع في عام واحد بدلًا من ثلاثة كما كان مخططاً. ولم يثنه هذا أيضاً عن الاستمرار في الحديث عن المشروعات العملاقة، سواء مَشروع المليون وحدة سكنية أو العاصمة الإدارية الجديدة أو محور تنمية قناة السويس أو استصلاح مليون فدان.. وغيرها التي كان آخرها إنشاء أول محطة طاقة نووية لمصر بموجب قرض روسي هو الأكبر في تاريخ القروض التي حصلت عليها البلاد من أي دولة أجنبية على مدار تاريخها.

القرض الأكبر

القرض قيمته 25 مليار دولار، وتم نشر قراره في الجريدة الرسمية في 19 أيار/ مايو. وإذا كانت جدوى المشروعات العملاقة محل خلاف حول ترتيب أولوياتها بالنسبة للوضع الاقتصادي، إلا أن الكثيرين يرون أن مجرد طرح فكرة إنشاء مفاعل نووي لاستخدامه في إنتاج الكهرباء بتحميل الدين العام المصري هذه الكلفة الباهظة في الوقت الذي انتهت فيه معاناة المصريين من أزمة الكهرباء، وفي الوقت الذي تعلن فيه الحكومة أن احتياطيها من العملة الصعبة لا يكفي لاستيراد السلع الضرورية لثلاثة أشهر مقبلة، هو مغامرة غير محسوبة العواقب، وتحمّل الأجيال القادمة مزيدا من الأعباء المالية والديون.

دخل مشروع الطاقة النووية المصري حيز التنفيذ بإصدار الرئيس عبد الفتاح السيسي قراراً جمهورياً في أواخر شهر أيار/ مايو الماضي بالموافقة على الاتفاقية الموقعة بين القاهرة وموسكو بشأن إقراض روسيا لمصر قرضا حكوميا لإنشاء أول محطة طاقة نووية في مصر، قيمته 25 مليار دولار لتمويل 85 في المئة من قيمة كل عقد لصالح تنفيذ الأعمال والخدمات والشحن بالمعدات الخاصة بالمشروع، على أن تتحمل مصر القيمة المتبقية من التمويل البالغة 15 في المئة في أقساط إما بالدولار أو بالجنيه المصري، لصالح المؤسسات الروسية المفوضة. وبموجب الاتفاقية يسدد القرض على مدار 22 عاماً، على 43 قسطاً في قسطَين كل عام، على أن يتمّ سداد الدفعة الأولى من أصل القرض في تشرين الأول/ أكتوبر 2029. أما أخطر بنود الاتفاقية فهو الخاص بالفائدة، حيث نصت الاتفاقية على أن تدفع مصر فائدة القرض بمعدل 3 في المئة سنويا، واشترطت الاتفاقية أن يبدأ حساب قيمة الفائدة منذ اليوم الأول لاستخدام القرض أي ابتداء من تاريخ التصديق على الاتفاقية وحصول مصر على الدفعة الأولى (247 مليون دولار) خلال عام 2016. وفى حالة عدم سداد أي من الفوائد خلال المدة المحددة لها يحتسب هذا المبلغ بعد تاريخ استحقاق الدفعة على أنه متأخرات، ويخضع لفائدة قيمتها 150 في المئة من معدل الفائدة المذكورة وفقا للاتفاقية.

كما اشترطت أنه في حالة عدم سداد أي دفعة من أصل القرض أو الفائدة المذكورة خلال 10 أيام عمل يحتسب المبلغ على أنه متأخرات، ويخضع لفائدة قيمتها 120 في المئة. وأعطت الاتفاقية، في حالة عدم دفع المتأخرات، أو فوائدها، خلال 90 يوماً، الحق للجانب الروسي بشكل منفرد في تعليق أي استخدام آخر للقرض.

الحلم القديم يتحقق ولكن..

فكرة إنشاء محطة لتوليد الكهرباء من الطاقة النووية في مصر لم تكن من بنات أفكار الرئيس السيسي بل شاركه فيها جميع رؤساء مصر بدءاً من عبد الناصر نفسه. ولكن لم يفلح أيٌّ منهم في تنفيذها على أرض الواقع. شكل عبد الناصر أول لجنة للطاقة الذرية في مصر برئاسته عام 1955، وبعدها بعام وقع مع الاتحاد السوفيتي وقتها اتفاقية «الذرة من أجل السلام» للتعاون في المجال النووي السلمي. وبموجب تلك الاتفاقية تمّ إنشاء مفاعل نووي بحثي بطاقة 2 ميغاوات. وحصلت مصر عام 1957 على معمل نظائر مشعة من الدنمارك، وانضمت كعضو مؤسس للوكالة الدولية للطاقة الذرية. وفي عهد السادات، وبعدما انتهى من «حرب اكتوبر» و «اتفاقية السلام» مع إسرائيل، أعاد التفكير في مسألة الاستفادة من الطاقة النووية، وخطط في عام 1980 لبناء 8 محطات نووية، واستجابت فرنسا لطلب بمساعدته وشكلت مجموعات عمل مشتركة، استقرت على 23 موقعا لتنفيذ المشروع، ووقعت مع فرنسا اتفاقية على إنشاء محطة في الضبعة. وطرحت مناقصة عالمية لاختيار الشركة المنفذة للمشروع عام 1983، وكان مبارك قد تسلم الحكم قبل ذلك بسنتين، واستمرت إجراءات المناقصة لأكثر من عام، ووقع بعدها حادث تشيرنوبل عام 1986، فصدر قرار بتجميد المشروع، حتى جاء عام 2007 وأعلن مبارك عن رغبته في إحياء المشروع النووي المصري في منطقة الضبعة. اللافت أن وزير الكهرباء وقتها قال بأن مصر في طريقها للاتفاق مع روسيا بمبلغ 4 مليار دولار. ولكن قامت «ثورة يناير2011». وعندما جاء الرئيس الأسبق محمد مرسي عام 2012، أعلن عن استئنافه العمل في المشروع ولكن لم يتحقق شيء حتى وقع الرئيس السيسي مع بوتين مذكرة تفاهم لبناء محطة نووية بتكنولوجيا روسية تتكون من أربعة مفاعلات، طاقة كل منها 1200 ميغاوات، وهو ما تلاه توقيع الرئيسين على الاتفاقية في تشرين الثاني/ نوفمبر 2015.

وعلى الرغم من تلك الرغبة القديمة في امتلاك الطاقة النووية، إلا أنه وفقا لرواية الخبراء والمتخصصين فإن لجوء مصر إلى إنتاج الكهرباء من الطاقة النووية في الوقت الحالي يثير علامات تعجب كثيرة، خاصة وأن مصر سبق وأبرمت في يونيو من العام الماضي صفقة مع شركة سيمنز الألمانية بقيمة 8 مليار يورو، أي ما يعادل تقريبا 10 مليار دولار أو 100 مليار جنيه، لتوليد الطاقة من الرياح ومن الغاز الطبيعي. وقد استطاعت مصر فعلياً من خلال تلك الصفقة القضاء على مشكلة انقطاع الكهرباء أثناء فصل الصيف التي عانى منها المواطنون من 2011 حتى 2014، إلى جانب ما أعلنت عنه وزارة الكهرباء من أنها أنفقت خلال العام المالي الحالي 8.3 مليار جنيه على مشروعات التوسع في محطات الكهرباء. أي أن النفقات في قطاع الكهرباء كانت أكبر من بند المعاشات في الموازنة (24 مليار جنيه) ، بما يعني أن قطاع الكهرباء قد أخذ حقه مقارنة بالقطاعات الأخرى كالصحة (46.4 مليار جنيه) والتعليم (أكثر قليلا من 76 مليار)، والطرق والكباري... وهو ما يعزز التساؤلات عن جدوى اللجوء إلى الطاقة النووية لتحقيق فائض في زيادة الكهرباء في الوقت الذي يوجد ميل عالمي لتقليص الاعتماد على الطاقة النووية والمحروقات لصالح الطاقة المتجددة من جانب، وسؤال مدى أهمية مجازفة مصر باقتراض هكذا مبلغ ورفع دينها الخارجي في ظل تراجع مواردها من العملة الصعبة، وتعريض اقتصادها لمخاطر كثيرة إذا لم تستطع الوفاء بمستحقات القرض من جانب آخر.

روسيا تروج لمنتجاتها

روسيا هي المستفيد الأول من إقراض مصر تكلفة إنشاء المحطة النووية، بحسب مدحت نافع، الخبير الاقتصادي، موضحاً أن تكاليف المشروع ستتجاوز 30 مليار دولار، وهي أعلى من تكلفة أي مشروع منافس آخر. ومصر أبرمت القرض بدون طرح مناقصات والمفاضلة مع عروض أخرى، إضافة إلى أن التوقيع على الاتفاقية مع الجانب الروسي تمّ بعد سقوط الطائرة الروسية بـ20 يوماً فقط، مما يعني أنها تحمل «تعويضاً» للجانب الروسي. ومن الناحية العملية، ووفقاً لنافع، هناك بدائل كثيرة لتمويل إنشاء محطة الطاقة النووية بدلا من القرض الروسي، منها ما يعرف بسندات البنية الأساسية أو سندات إيرادات، وهى تسمح بالسداد من قيمة المشروع وإيراداته بعد التشغيل، ما يضمن السداد دون تحميل الأجيال القادمة أعباء ديون إضافية، خاصة في ظل ارتفاع الدين المحلي لمستويات تجاوزت 90 في المئة من إجمالي الناتج المحلي، موضحا أن تلك السندات هي صكوك مديونية يتم طرحها لتنفيذ مشروعات عملاقة في مجالات البنية الأساسية، كما حدث مع شهادات استثمار قناة السويس لكن الفارق هو أن الجهة المَدينة في الأولى تكون المشروع وليس الدولة أو صاحب المشروع. والخيار الآخر للتمويل بعيدا عن القرض الروسي هو استخدام الصكوك المتوافقة مع أحكام الشريعة، مؤكدا أن تلك الأداة التمويلية تضمن سداد الدين من خلال عوائد المشروع أيضاً وليس صاحبه، وتضمن جذب مستثمرين من الدول العربية والخليجية التي تميل للاستثمار في الصكوك المتوافقة مع أحكام الشريعة، بما يمكّن مصر من الحصول على قروض ميسرة من مؤسسات التمويل الدولية والعربية بفائدة لا تتعدى 2 في المئة، وهي أقل من فائدة القرض الروسي. ووفقا للخبير الاقتصادي، فإن روسيا تسوق منتجاتها وإذا كانت واثقة في جدوى المشروع لكانت شاركت في رأس ماله وتحملت مخاطره، ولم تلجأ إلى تمويله بموجب قرض به شروط مجحفة قد تؤثر على تصنيف مصر الائتماني ومدى قدرتها على سداد مديونيتها.

البرلمان وحده يستطيع وقف المشروع

إذا كان توقيع الرئيس المصري على اتفاقية القرض الروسي محفوفاً بالمخاطر الاقتصادية التي ستتحملها خزانة المصريين ابتداء من 2029، فإدخال تلك الاتفاقية حيز التنفيذ يستلزم التأكد من جوانب بيئية وصحية في مجتمع ترتفع فيه معدلات الإهمال إلى مستويات غير مسبوقة. ولكن يبقى أن مجلس النواب هو الجهة الوحيدة المسؤولة خلال الفترة المتبقية من عام 2016 لحسم الأمر. فوفقاً للمادة 127 من الدستور «لا يجوز للسلطة التنفيذية الاقتراض، أو الحصول على تمويل، أو الارتباط بمشروع غير مدرج في الموازنة العامة المعتمدة يترتب عليه إنفاق مبالغ من الخزانة العامة للدولة لمدة مقبلة، إلا بعد موافقة مجلس النواب». ووفقاً لكريم السيد، الأستاذ بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، فإدخال اتفاقية القرض الروسي حيز النفاذ تتطلب مراحل:

1 – التوقيع بالأحرف الأولى بين ممثلي البلدين على الاتفاق، وموافقة مجلس الوزراء على مضمون الاتفاقية، وموافقة رئيس الجمهورية ونشر الاتفاقية في الجريدة الرسمية.

2 – عرض الاتفاقية على البرلمان. وبموجب الدستور المصري الجديد أصبحت موافقة البرلمان على الاتفاقيات بشكل عام، واتفاقيات القروض بشكل خاص، شرطا للتصديق عليها وسريانها.

ما زلنا عند مرحلة موافقة رئيس الجمهورية على الاتفاقية، لأن الحكومة لم تعرض الاتفاقية على البرلمان حتى الآن. ووفقا لأستاذ العلوم السياسية، يجب على البرلمان ألا يمرر الاتفاقية قبل الاستماع إلى كافة أجهزة الدولة المرتبطة بالمشروع، ويقف على مدى استعدادات وزارات مثل المالية والبيئة والصحة والطاقة والصناعة وغيرها.. لتحمل مخاطر المشروع والتزاماته، والأهم تقييم مكاسب الدولة منه في ضوء مخاطره المتوقعة، وما إذا كانت ترجح كفة الاستمرار فيه أو العدول عنه. وفي حال الإبقاء على المشروع، الموافقة على ما يمليه بموجب شروط القرض الروسي، أو بالبحث عن مصادر تمويل بديلة.

رنا ممدوح

كاتبة صحافية من مصر

بيتونة

إنسانية قاتلة!

كانت وظيفته في المحلّة تحرير الضفادع المشنوقة على أسلاك الكهرباء وفك قيود القطط المحبوسة في أكياس الجنفاص وغسل الكلاب الصغيرة التي يعذبها الأطفال بالزيت والنفط، مع مهمات سرّية أخرى تتعلق بالعاشقات من بنات البيوت المغرَّر بهن.

وفيما يتعلق بالحيادية، فصاحبنا معتوق، الملقَّب بعيوة، لا يقف في المنتصف بين الجميع، معتوق لا يقف أصلًا لأنه كسيح، انفجر به لغم في السيبة حينما كان يعمل جامعاً للشظايا النحاسية، يستخرجها بعد أن ينبش الجدران والثقوب ويخلصها من الشوائب والأملاح ويبيعها في سوق العتيق.

معتوق لم يقرأ شيئًا لبوذا ولا لسقراط أو كونفوشيوس، لقد ورث قلبه الرؤوم من جدة سمراء هي واحدة من رعايا السلاطين النجيبات. فلسفياً، وبلسان قارئ بطران يرتدي لباساً حبيشياً وفانيلة داخلية ماركة معمل الأبرار للألبسة الجاهزة: تندرج إنسانية عيوة المفرطة ضمن إنسانيات العبيد!

في دائرة الطب العدلي، حينما طلب الموظف من ذوي معتوق اسم الآلة الثقيلة التي سقطت على معتوق وقتلته وهو يؤدي دوريته في شركة روسية، قالوا له أن اسمها كمنوتارني بالروسية. ولأن الموظف المستجد كان نزيهاً وملتزماً ونظيف اليد ويحب أن يتحذلق، لم يتعب نفسه في ترجمة الكلمة ليدوّن في تقريره ما يقابلها بالعربية، حتى حينما عرف بأنها تعني «إنسانية»، لم يرجع لهم ليتأكد من اللفظ ويضبطه، فكتب في قلب التقرير : لقد سقطت على المرحوم إنسانيته وهشمت أضلاعه.

بيني وبينكم والحق يقال: كان مزهواً أمام مديره باستعمال الفعل «هَشَّمتْ» وضبطه بالحركات أكثر من تبلد وجهه أمام سؤال المدير: وكيف تكون الإنسانية قاتلة؟

نص ورسم مرتضى كزار

العربي السفير

نوافذ

219700 حالة استعباد حديث في المغرب وفق مؤشر منظمة Walk Free العالمية الذي صنف حالات الزواج القسري والزواج المؤقت (السياحي) والتسول القسري على أنها من أشكال الاستعباد.

تسريب الامتحانات والإجابات يهدد البكالوريا المصرية

أمرت النيابة العامة بحبس 12 مسؤولاً بوزارة التربية والتعليم احتياطيا على ذمة التحقيقات التى تجري منذ يوم الأحد 4 حزيران/ يونيو الجاري، وهو أول أيام امتحانات البكالوريا المصرية التي شهدت تسريباً لامتحان الدين قبل موعده بساعة ونصف الساعة، مما أدى بوزارة التعليم إلى إلغاء الامتحان وتأجيله حتى نهاية الشهر الحالي.

وأكد آلاف الطلاب أن امتحان اللغة العربية الذي سبق امتحان الدين تعرض للموقف نفسه وأنّه قد تم تسريبه أيضا في بعض المحافظات، منذ فجر يوم الامتحان ولكن وزارة التعليم لم تلغ الامتحان كما حدث في مادة الدين.

ولكن في ثاني أيام البكالوريا، وكان مخصصا لامتحان اللغة الأجنبية، تمت إذاعة عن تسريب الامتحان كاملا بالإجابات النموذجية! المتحدث الرسمي للوزارة قال إنّ ما حدث غش الكتروني وليس تسريبا! وهو ما أدى إلى أن يتوجه رئيس الوزراء إلى مقر غرفة العمليات بوزارة التربية والتعليم، فيما أبدى مسؤولون بالوزارة تخوّفهم من أن تكون كل الامتحانات الباقية قد سربت أيضاً، وأشارت المصادر إلى أن الامتحانات تكون في المطابع السرية للوزارة حتى صباح يوم الامتحان حين يجري توصيلها للجان في ظرف مغلق ولا يتم فتحه إلاّ من خلال لجنة قبل بدء الامتحان بدقائق معدودة حيث تسلم إلى المراقبين.

شاومينج يرحب بكم

وشاومينج هو صاحب ومؤسس أكبر وأضخم صفحة لتسريب الامتحانات والتي بدأت منذ ثلاثة أعوام، وكانت الإجابات على الأسئلة تصل بعد مرور نصف الوقت للطلاب عن طريق أجهزة الهواتف المحمولة، وهو ما دعى وزارة التعليم إلى تشديد الإجراءات هذا العام والمنع النهائي للهواتف المحمولة من دخول اللجان مع الطلاب مع التفتيش الذاتي واستخدام «العصى الالكترونية» للكشف عنها. ولكن صفحة «شاوينج بيغشش» نفذت تهديدها هذا العام للحكومة بتسريب الامتحانات قبل أن تبدأ، بل وزادت عليها توزيع نموذج الإجابة الرسمية أيضاً. وفي رسالة من أدمن صفحة الغش والتسريب قال إنّ الهدف من تسريب الامتحانات هو إظهار الخلل في المنظومة التعليمية، معتبرا أن تسريب مادة الدين قبل الموعد بساعة ونصف دون الإجابة هو الدرس الثاني للوزارة واصفا نفسه بأنّه بدأ رسم الطريق لكل طالب مصري، و «شاومينج بيطلع وقت ما الوزارة تبيع أحلام الطلاب وتتاجر بها»، وأضاف أنه حان الوقت أن تتغير منظومة التعليم الفاشلة وأن يتوقف اللعب بأحلام الطلاب و «هدفي أن يتم الاهتمام بالعلم وأن يتم إلغاء التصنيف الطبقي للكليات وتفعيل امتحانات القدرات»، وأنه في حال تنفيذ هذه المطالب فسوف يختفي للأبد لأنه على الوزارة أن تدرك أنها لو تساهلت مع أبنائها واحتضنتهم لرأت أجيالا من العلماء وأنّه إن لم يأتوا الآن (يقصد الطلاب) فلن يأتوا بعد ذلك.

ومن ناحية أخرى استطاع وزير التعليم إقناع الحكومة بإصدار قانون جديد يسجن بموجبه الطالب الغشاش عدة سنوات. وهو ما هاجمه التربويون ورجال القانون، لأنه حوّل مؤسسة التعليم إلى مؤسسة أمنية عقابية بدلا من تعليمية تربوية. وكان القانون قبل تعديله يقضي بحرمان الطالب من الامتحانات ورسوبه، وقد أدى التعديل الجديد إلى زيادة حالة التوتر في الأسر المصرية وأصبحت مشاهد الأمهات على أبواب لجان الامتحان أمام المدارس تتكرر وذلك كما تقول الأسر خوفا من ان يتهم أبناؤهم فيساقون إلى السجن تحت أي دعاوى، قد تكون غير صحيحة. وبالفعل تم تحويل أكثر من 25 حالة!

وزير التعليم لم يكتف بإصدار القانون، بل قال صراحة أن وزارته اكتشفت قبيل الامتحانات أنّ 60 طالبا قد أجروا عمليات زرع سماعات طبية من أجل الغش في الامتحانات، وهو ما دعى الخبراء إلى التهكم على تصريحات الوزير، واتهمه البعض بأنه يسيء إلى شعب مصر باعتباره غشاشا، وأنّه يروج لأفكار أن الوزارة تراقب أكثر من نصف مليون طالب وأسرهم بل وآلاف الأطباء والمستشفيات لتعرف أن 60 طالباً زرعوا سماعات للغش، ما يُفهم منه أننا في دولة مراقبة. جاءت الامتحانات وتسريبها لتكشف ضعف تصريحات وأداء الوزارة، وقد أشار البعض أن التسريب أتى من داخل الوزارة نفسها لأنّها المسؤولة عن الامتحانات وتأمينها، وأنها ما زالت تتبع نظما قديمة وبالية منذ عقود في وضع أسئلة الامتحان وطباعتها، وأطلقوا على اسم مكان المطبعة السرية المعروف «محطة المطار السري»! وأشار البعض إلى الفساد داخل هذه المؤسسة، كما أشار آخرون إلى أن تمويل الامتحانات يقترب من 150 مليون جنيه (حوالي 15 مليون دولار،) وإلى عملية اختراق الأجهزة الالكترونية التي تحفظ الامتحانات بالوزارة. وذهب آخرون إلى أن ما يحدث هو «صراع أجيال»، فالوزارة تستخدم نظاماً تعليمياً ومناهج لم تتغير منذ عقود طويلة، والامتحانات تقيس فقط الحفظ والتلقين فردت إليها الأجيال الجديدة الصفعة والإهمال، واحتفوا بالتسريب. وأن ما يحدث نتيجة منطقية لإهمال التعليم وأحوال المعلم تحديداً، سواء المادية أو المهنية، مما جعل هناك إحساساً بالتعاطف من الجميع مع الغش، وأن خطورة الأمر أنه سيصبح لدينا جيل لا يرفض الغش للجميع، وسيتخرج آلاف الطلاب ليلتحقوا بالطب والهندسة والصيدلة والإعلام والحقوق بل والكلية الحربية والشرطة، وصلت إليهم الإجابات النموذجية «ديلفري»، وبدأوا يشيرون إلى تداعيات الأزمة وتأثيرها على مجاميع الطلاب ومكتب التنسيق بل ومعايير اختيار أوائل الجمهورية للشهادة الوطنية التي يصيبها التسريب في مقتل.

إقالة الوزير

دخل المجلس النيابي على خط الأزمة، وخلال اليوم الأول فقط للامتحانات وجهت أسئلة وطلبات إحاطة من أكثر من 55 عضوا بالبرلمان، وطالبوا باستدعاء وحضور وزير التعليم الذي لم يحضر، وهو ما أشعل غضب النواب وتحولت الأسئلة لاستجوابات تمهيدا كما قالوا للمطالبة بإقالته، وهو ما يسمح به الدستور ويعطي للبرلمان هذا الحق بعدما كان هذا حقّاً مطلقاً لرئيس الجمهورية في الدساتير السابقة. بل إنّ البعض من النواب أشار إلى شماعة الإخوان المسلمين في قضية تسريب الامتحانات، واتّهم تنظيمهم الدولي من خلال مواقعهم في عدّة دول بتسريب الامتحانات! كما طالب بعض النواب بإلغاء فيسبوك طالما يُساء استخدامه ويضر بالأمن القومي ومنه الامتحانات الوطنية.

ومن ناحية أخرى، أمر رئيس الوزراء، كما يقال، بأخذ عينة واسعة من إجابات الطلاب لتصحيحها فوراً والوقوف على مدى تأثير التسريب على الإجابات في مختلف الأماكن بالجمهورية. ويأتي ذلك في الوقت الذي نادى فيه البعض بإلغاء الامتحانات وإعادتها في وقت لاحق. ومن المعروف أنّه في ستينيات القرن الماضي، أصدر الرئيس عبد الناصر قرارا بإلغاء امتحانات البكالوريا، وإعادتها، بعدما سربت إسرائيل الأسئلة وأذاعتها مع بدايتها.

إيمان رسلان

صحافية من مصر مختصة بالتعليم

حلـــم..

حسين بيكار / السودان

arabi.assafir.com

المزيد على موقع «السفير العربي»
ـ من ينقذ المنظومة الواحيّة بالمغرب؟ ـ صالح بن الهوري
ـ إعادة التفكير ببنية جماعة الإخوان المسلمين في مصر ـ خديجة جعفر
ـ أيد قاسية تقودهنّ للموت ـ أحلام البدري
ـ تابعّونا على «فايسبوك»: السفير العربي ـ Assafir Arabi
ـ تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

.. بألف كلمة

الورد لتضميد جراح الأطفال السوريين اللاجئين

عمل فنّي لحلا العابد من سوريا

مدونات

ساسة العراق، وجنوده..

تسلّقوا جيداً على دماء الجنود يا ساسة الخراب والفشل والفساد والإجرام. افرحوا واحتفلوا بإخراجنا من الحفرة التي رميتمونا أصلًا فيها. منّوا علينا بكرم إعادتنا من البؤس الشديد الى مجرد البؤس!

تكسّبوا في هذه الحرب، اركلوا كل مشاكل البلد ببسطال الجندي، فإن مات أو عاش، انتصر أو انهزم، فرصيدُ كل ذلك سيكون في جيوبكم.

اشتركوا في صورة سيلفي جماعية لإعلان النصر. احشروا وجوهكم العفنة مع وجوه الجنود المتربة والمتعبة، زاحموهم على جهدهم وشجاعتهم، والبسوا البدلات العسكرية حتى تقولوا لأنفسكم «لقد أصبنا بفايروس شجاعة الجنود»، غير أنّ الجنود يموتون، وأنتم أحياءٌ عند «ربكم» ترزقون.

من صفحة الشمس مه (عن فايسبوك)

القبض على شادي بسبب تصوير خردة

ابني شادي عمره 15 سنة، وهو من هواة التصوير. خرج اليوم الساعة السادسة صباحاً ليقوم بجولة لتصوير ما يقابله: قطة، كلب، فراشة، وردة، بعض وجوه الناس.. فقابل سيارة خردة في أرض فضاء في منطقة الملاحة. وقد خرج عليه 3 بزيّ القوات البحرية، وأحدهم بملابس مدنية، وقاموا برفع السلاح في وجه الواد اللي اترعب أشد الرعب، وقاموا بتغمية عينيه بكيس أسود كبير وأخذوه إلى مكتب (...) وتم استجوابه عن أسباب تواجده بجوار السيارة، وليه بيصورها، وقاموا بالتفتيش في الكاميرا، واستعراض الصور في الموبايل وفي صفحة شادي علي الفيسبوك، ورغم أنها عادية وهي لهاو، إلا أنهم قاموا بحذف الصور من الكاميرا والموبايل وسط بكاء شادي وتوسلاته وشعوره بالقهر.. واتصلّوا بي ليبلغوني أن ابني محتجز لديهم (...) أوّل ما قاله ابني حينما رأيته مذعوراً «يا بابا دا مكان وسط العمارات، والسيارة قديمة مصدية! وايه اللي جايب الناس دول هنا. مش القوات البحرية بيبقى مكانها في البحر؟ (...) فلم استطع أن أفسّر له سوى أن الدولة اتجننت وبقت تعادي الشباب المسالم.. شاب ومعه كاميرا ماشي في الشارع، ايه دخل الضابط انه يقوله الكاميرا دي غالية إزاي اشتريتها.. فقال له ابني بابا جابهالي عشان نجحت، فردّ عليه الضابط «أنصحك تسافر برا مصر عشان تعرف تصوّر صور غير اللي انت واخدها!»

من صفحة Adel Shata (عن فابسبوك)

مضلِّلون..

قبل ساعة، شاهدتُ مُقتطفات من قناة الموريتانية النّعسانة. كان رئيس «المجلس الأعلى للفتوى والمظالم» ضيفاً «يملك أجوبة على كُلّ شيء».. هذا الرئيس (بنظام حياة مهووس بالرئاسة!!) الذي أصدر بياناً فتوائياً قبل أسابيع يبيح لـ«رئيس» البلاد (رئيس يبيح لرئيس، يا لتفاهة الحال هذا!) خيرات البلاد والعباد..

هذا الرئيس «الذي يملك أجوبة على كل شيء» كان يعلّق بطريقة غير مباشرة على «حادثة التدافع» قبل أيام (مقتل 8 فقراء بحادثة تدافع أمام مكتب أحد رجال الأعمال بنواكشوط للحصول على مساعدات قبل شهر رمضان!). لقد قال أنّ الزكاة هي لتبريد الحقد وتسكين التفاوت السائد. إنها ضروريّة من هذه الناحية. بعيداً عن هذا الكلام الذي أفرغ الركن الديني من معناه تقريباً، نسي ذلك الرئيس الإشارة ـ متعمّداً؟ متوقّع ـ إلى دور الفساد الاجتماعي والسياسي السلطويّ في بؤس الحال هذا. إنّ هؤلاء مُضلِّلون.

من صفحة عالي الدمين (عن فايسبوك)